اتجاه الأدب الحديث الى الطبيعة

الطبيعة : اذا كان الأدب القروي يُعنى خاصةً بحياة الفلّاح والبيئة التي يعيش فيها فان أدب الطبيعة يُعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الانسان . وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها كامرئ القيس وذي الرُّمة وأبي نواس وابي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري وكشاجم وابن حمديس وابن خفاجة وابن الساعاتي وصفي الدين الحلّي وكثيرين سواهم [1] .

والوصف الطبيعي القديم (في الجاهلية وصدر الاسلام) وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما الى ذلك . وهو عادة دقيق يميل الى شرح الجزئيات فاذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلاً أو كالحمار الوحشي صوّر لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته . وكذلك يفعل في وصف غير الحيوان مما يألفه ويعرف أحواله . ومن أمثلة ذلك وصف طَرَفة لناقته في نحو ثلاثين بيتاً من معلقته ، ووصف امرئ القيس لفرسه في قصيدته « خليليّ مرّا بي على أم جندب » ، ووصف عَبيد بن الأبرص للعقاب في مجمهرته ، والنابغة للثور البرّي في داليته ، ووصف البرق والسحاب في قصيدة أوس بن حجر التي مطلعها « إني أرقت ولم تأرق معي صاحِ » والحمار الوحشي في بائية ذي الرّمة « ما بال عينك منها الدمع ينسكب » . وقس على هذه الأمثلة كثيراً مما يضيق دونه هذا المقام .

---

(١) لمحمد عبد الغني حسن مقال في المقتطف ٩٩ – ١٦٣ موضوعه بدائع الجمال ، تجد فيه كثيراً من الشواهد على هذا النوع من الشعر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد الى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه شائعاً في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جارية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته .

وقد تطوّرت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطوّر معها الشعر الوصفي وهكذا انصرف عن الصحراء واحوالها الى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزّهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما الى ذلك من ظواهر الحياة المدنية[1] . ولا بدّ لنا هنا من التنبيه الى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولّد . ففي الأول كما ذكرنا آنفاً يغلب الصدق والبساطة في التصوير . وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرّى إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال . ولقد تمادى المولّدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلةً لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد .

وأظهر ما جروا عليه في الوصف طريقة التشبيه وهي طريقة تعد من محاسن الشعر في كل زمانٍ ومكان اذا جرت مع الطبع ولم تُشَب بالتعمّل والتكلّف . ومن أمثلتها قول ابن المعتز يصف بستاناً[2] :

أما ترى البستان كيف نوّرا ونشر المنشور بُرداً أصفرا
وضحك الورد الى الشقائقِ واعتنق القطرَ اعتناق وامقِ
وياسمينٍ في ذرى الأغصانِ منتظماً كقِطَعِ العقيانْ

(١) للأستاذ المستشرق غوستاف فون غرونبوم بحث دقيق في تطور الوصف الطبيعي عند العرب حتى أواخر القرن التاسع للميلاد . راجعه في Journal of N. E. Studies, July 1943

(٢) من أرجوزة في ديوانه ٧٣

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفرجَ الخشخاش جيباً وفتقْ كأنه مصاحفٌ بيضُ الورق
حتى اذا ما انتثرت أوراقهُ وكاد أن يثأدَ ريًّا ساقهُ
صار كأقداحٍ من البلّور كأنما تجسّمت من نُور

ولا تزال هذه الطريقة الى الآن من أكثر الطرائق شيوعاً في وصف الطبيعة . ويتوقف جمالها على روعة العلاقة التي تربط المشبّه بالمشبّه به وعلى حسن التعبير عن تلك العلاقة .

على أننا اذا أنعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما استجدّ في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولّد في العهد العباسي والأندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تُتّخذ موضوعاً خاصاً وانما كان الشاعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل او المديح او الفخر وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الأفق الحسّي المشاهد الى ما هو ابعد واعمق . وبكلمة أخرى لم يرَ في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمّل العميق وما يوحي اليه المعاني الخالدة والأفكار السامية ولم يتغير الموقف في الشعر المولّد تغيراً يصح أن يسمى اتجاهاً عاماً . فظلت الطبيعة عند المولّدين وسيلةً لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لايحاءات روحية . أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاهاً عاماً الى ما للطبيعة من وجود معنوي يلذّ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو اليه .

ولهذا النظر الحديث الى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

(قد يقال ان الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يُؤبه له عادةً كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون المشب

الذاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة ، وانه يرتاح الى الطبيعة الساذجة (البرّية) دون المصطنعة المنمّقة . فهو يؤثر الغاب على البستان ، وشواهق الصخور على أسوار الحصون ، وبحيرات الجبال على بُرَك القصور . ورمال الشواطئ والصحاري على الساحات المعبدة في المدن او النوادي ، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة ، لريّ الحقول والمزارع . بل انه ليرى روعةً خلاّبةً في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السهول وانقضاض الشلاّلات ووصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللُّجج وما أشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة . على ان ذلك عند التحقيق ليس الفارق الرئيسي الذي يميز ادب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة وانما يميزه ما تقدمت الاشارة اليه من ان الأدب الحديث ينظر الى الطبيعة نظراً معنوياً يتجاوز افق المشاهدات .

ومما لا شك فيه ان التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعمّ في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصوّر او النظر المعنوي نزعات نجملها في الاثنتين التاليتين :

النزعة الحيويّة : وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف .

وليس من الصواب القول ان الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر او الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم وانما فعلوا ذلك في الأغلب تمهيداً لبعض اغراضهم وجرياً على اتباع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب اليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلاً فيقول [1] فيه :

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٧ . وهذا الشاعر معروف بوصفه الطبيعة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقور على ظهر الفلاة كأنه طِوالَ الليالي مُفكر في العواقب

فهذا الجبل عند الشاعر ذو فكر وتأمل ، بل هو أيضاً ذو عواطف وذكريات ولذلك نسمعه يقول :

فكم مرَّ بي من مُدلج ومُأَوّب وقال بظلّي من مطيّ وراكبِ
فما كان الا ان طوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النّوى والنوائب
فحتّى متى أبقى ويظعن صاحبٌ اودّع منه راحلاً غير آيبِ
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً فمن طالعٍ اخرى الليالي وغائب
فرحماك يا مولاي دعوة ضارعٍ يمدّ الى نعماك راحةَ راغبِ

وكأنّ الشاعر اذ يسمع هذا الكلام من الجبل يتأثر به ويعلق عليه بقوله :

فأسمَعَني من وعظه كلَّ عبرة يترجمها عني لسانُ التجارب

وهناك قبل ابن خفاجة وبعده من خاطب الطبيعة من جماداتٍ وأحياء وجعل لها لسان العقلاء كما فعل بديع الزمان الهمذاني على لسان بشر في القصيدة التي يصف فيها مبارزته للأسد ومطلعها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ اخاك بشرا

وامرؤ القيس في معلقته يخاطب الذئب فيقول :

فقلت له لمّا عوى ان شأننا قليل الغنى ان كنت لمّا تَمَوّلِ
كلانا اذا ما نال شيئاً افاته ومن يحترثْ حرثي وحرثك يهزَلِ

وعبد الرحمن الأموي يخاطب النخلة بقوله(١) :

يا نخلَ انت فريدةٌ مثلي في الأرض نائيةٌ عن الأهل

واسد المتنبي في لاميته المعروفة ـ في الخدّ ان عزم الخليط رحيلا ـ اسدٌ يشعر ويفكر ويخاف العار فلا يحسب للخطر حساباً .

وقس على هذه الأمثلة ما لا يخلو منه عصر من العصور الأدبية السابقة .

(١) مختارات من الشعر الأندلسي تحقيق نكيل ٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على اننا نعيد القول انّ ما تجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ ان يكون اتجاهاً عاماً او باباً مستقلاً يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيسجدوا في هيكلها ويحملوا الينا منه ما توحيه من جمالها واسرارها . او على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأو زملائهم في القرن العشرين .

ان الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة يحسّ بضربات فؤادها ويستمع رخيم إنشادها ويلذّ له التحدّث الى انهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران اذ يقف امام « الارض » مقابلاً محاسنها بقبائح الانسان فيقول [1] « ما اجملك ايتها الأرض وما ابهاك . ما أتمّ امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متّشحة بالظلّ وما أملحَ وجهك مقنّعاً بالدجى . ما اكرمك ايتها الارض وما اطول اناتك ! نحن نضجّ وانت تضحكين . نحن نذنب وانت تكفّرين . نحن نجدّف وانت تباركين . نحن ننجّس وانت تقدّسين . نحن نكلّم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلامنا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجِيَف وانت تملأين بيادرنا بالاغمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا وتكوّنين منها الورود والزنابق ! » .

فهذا باب في مناجاة الطبيعة لم يطرقه القدماء كما طرقه المحدثون وهو يدور كما ترى على تأمّل فيها عميق ووصف لها مقصود لذاته لا لسواه .

ولشكر الله الجرّ قصيدة في شلاّل في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي ايضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن ادوارها [2] :

غسلتُ بمائك عيني وعدتُ فأبصرتُ ما الناسُ لا تبصرُ
فبالله قل لي إلامَ تظلّ كذلك تجناحك الأعصرُ

---

(١) راجع مقاله : الأرض في مجموعة الرابطة القلمية (نيويورك) .
(٢) المقتطف ٨ : ٤١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنت تكرّ كرور الزمانِ   فلا تستترْ ولا تفترْ
وهذا الوجود كما كان قبلُ شعوبٌ تجيءُ واخرى تروحْ
ودنيا تضجُّ بسكّانهــا   فهذا يغنّي وهذا ينوحْ
وذلك مستسلمٌ للقدَرْ

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحيّة من جبال واودية وانهارٍ وصحارٍ ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها .

وكما شُغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحيّة فأحياها وجعلها ذات شعور وادراكٍ ونظر مستوحياً منها الأفكار والخواطر والعِبَر ، شُغف ايضاً بالطبيعة الحيّة من نبات وحيوان فجعلها موضوعاً لتخيّلاته وتأمّلاته ، ووسيلة للتحدّث عمّا يتجلّى له في حياته .

ففي عالم النبات مثلاً يقصّ علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح ان تكون وردةً ، فيصف لنا شعورها وآمالها وما آل اليه مصيرها [1] . وهو يرمز بذلك الى كل طموح يودّ الخروج من بيئته الضيقة الى بيئة ارحب وأسمى .وان هذا الطموح أو هــذا السعي الى الأسمى هو السعادة ولو كانت نهايته الموت .

وممّن استخلص من البنفسجة موضوعاً انسانياً خليل شيبوب اذ وصف جمالها وتواضعها فقال [2] :

قد التحفتْ اوراقهــا وتطامنت   على نفسها في رقّةٍ وتواضعِ
مكحلّة الأجفان يقضي حياؤها   عليها باغضاء اللحاظ الخواشعِ
وهل كبرياء الدّوح تعدل نظرةً   للمومةٍ في ثوبهــا المتواضعِ

(١) راجع ذلك في كتابه المواكب ٢٢٦ .
(٢) المقتطف ٧٨ — ٢٩٤ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم استطرد الى وصف الحياة البشرية مقابلاً المتكبّرين بالمتواضعين ذاكراً مصائب الكبرياء الفارغة وانها انما تدلّ على خلوّ النفس من الجمال الحقيقي :

وأكثر هذا الناس زهرٌ بلا شذى   ومرأى بلا حسنٍ ووقرٌ مسامعِ

وفي غابةٍ من غابات البرازيل يمرّ الشاعر القروي مرةً فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الانسان فيحدّثنا حديث تلك « الدوحة الساقطة »[1] وشكواها من جور الانسان . وفي هذا الحديث تذكر لنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوي اليها الطيور ويقصد ظلالها طلاّب الراحة . ثم تصف عالم النبات وانه هو موطن المساواة والخير لا عالم الانسان الموبوء بالطمع والفساد القائم على التعدّي والتدمير . وبعد ان تنعي نفسها الى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً الى وصف الدوحات البشرية (اي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوانٍ وعناء . وتعود الشجرة الى حديثها فتختمه بكلمة فخر تخاطب بها الانسان قائلة : أنتِ أيها الانسان تعيش قليلاً ثم تموت فتصبح رِمّةً بالية لا خير منها اما انا فأعيش طويلاً واذا متُّ ففائدتي لا تنقطع - مني تبنى الجسور وتصنع أعمدة الكهرباء ومنّي تعمل شتّى الأدوات والأواني اللازمة لتقدم العمران .

ومن الشعر التأمّلي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة »[2] لرشيد ايوب يرى الشاعر ورقةً من أوراق الخريف فتثير فيه وقد دنت شمسه للمغيب خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أبنت الربيع استريحي غداً   فكلّ الهناء لمن لا يعي
قضيتِ الربيع وكلُّ الحيا   ةِ زمانُ الربيع فلا تجزعي

(١) ديوانه « القرويات » ٧٩ .
(٢) ديوانه « هي الدنيا » ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

فماذا أقول أنا في الشتا ء وصوت العواصف في مسمعي
أبيتُ الليالي أرعى النجومَ وان نمت نامت همومي معي

ومنهـا :

أبنتَ الربيع الى الملتقى فلا أمنَ الاّ بحضن الترابْ
ولا تسألي السرّ في ذي الحيا ةِ ففي الأبَديّة فصل الخطابْ

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير، ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية ـ عالم الطيور والحشرات وحيوانات البرّ والبحر . واليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن اسماعيل الى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل . فيتصوّره « راهبًا » كبير السن واسع الاختبار . وعوضًا عن ان يتطيّر منه كما يفعلون عادة يتلطّف في الاقتراب اليه ثم يلقي عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجيًا منه ان يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهذه الأسئلة ليست في الحقيقة الاّ ما يساور نفس السائل لدى تأمّله في حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغرابَ وسيلة للتحدث عنهـا والتعبير عن رأيه فيها (١) .

وفي الخريف يرى ايليا ابو ماضي فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعًا لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطبًا تلك الفراشة (٢) :

فالزهرُ في الحقل اشلاءٌ مبعثرةٌ والطير ـ لا طائرٌ الاّ جناحاكِ
يا روضةً في سماء الأرض طائرةً وطائراً كالأقاحي ذا شذاً زاكِ

(١) راجع قصيدته « راهب النخيل » في ديوانه « هكذا أغني » ١٧٩ .
(٢) ديوانه « الخمائل » ٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مضى مع الصيف عهدٌ كنتِ لاهيةً على بساطٍ من الأحلام ضحّاكِ
تُمسين عند مجاري الماء نائمةً وللأزاهر والأعشاب مغداكِ
يا نغمةً تتلاشى كلّما بعدت ان غبتِ عن مسمعي ما غاب معناكِ

وفي الفراشة قول غير قليل (١) .

ويسمع احمد رامي طائراً يفرّد تغريداً شجيّاً وهو يتنقّل من غصن الى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له (٢) :

واصدح فصوتك في الفؤاد صدًى للغابر المدفون من زمني
لك أنّةٌ في الليل خافقةٌ تسري الى قلبي بلا أذنِ
هبني جناحك كي أطير به وأحطّ فوق شواهق القُنن
وأطلّ فوق الكون مبتهجاً بجماله المتناثر الحسنِ

ولماذا يطلب الشاعر ذلك ؟ لأنه يشعر او يتوهّم ان حياة المدن قد غمرته بالشقاء الملازم وانّ لا سعادة له الا في الطبيعة حيث النهر الجاري والزهر العاطر والمناظر المبهجة التي تُنسي الانسان همومه وآلامه . ففي المدن :

لا مغربٌ أرنو لمشهدهِ والأفقُ يطوي الشمس في كفنِ
او مشرقٌ والأرض قد نفضت عن عينها ثِقلاً من الوسنِ
او طائرٌ يشدو فيطربني الا نعيب البوم في الدّمن

ومن هذا القبيل موشّح للشاعر العراقي محمود الحبوبي استوحاه من تغريد طائر على شجرة يحداه ذلك الى وصف الحياة والناس متمنّياً لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرحة الوديعة لعلهم يرجعون الى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم (٣) .

(١) راجع مثلاً مجلة الكتاب ٤ : ٣٠١ ، قطعة لعلي أحمد سعيد . والجمهور (بيروت) ١ ع ١٥ موشح من الشعر العامي لميشال طراد .
(٢) ديوانه ٥٩ .
(٣) راجع هذا الموشح الرائع في مجلة الغري (النجف) السنة ٨ ع ١٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولو أردنا ان نعدد الأمثلة على ما للطبيعة الحيّة من اثر في ادبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام .

وللشاعر المصري « الهمشري » شعر كثير في الطبيعة ومنه القطع التالية [١] : النارنجة الذابلة ـ اغنية النخيل ـ عودة الشاعر الى قريته ـ اليمامة ـ المفرّد ـ الى الفجر .

وكذلك للشاعر محمد عبد الرحيم ادريس ففي ديوانه « ظلال النخيل » يكثر تغنّيه بالظلال والأصيل والزروع والنخيل والصحراء والنيل .

النزعة التاريخية : ولم يكتف ادباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثّها ما يشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها الى التاريخ حيث يتجلّى لهم اجلال القِدم وحوادث الزمان . والذي يلاحظ ان هـذه النزعة تكاد تكون مفقودةً في أدبنا الماضي . ومن أمثلتها قصيدة احمد شوقي « أيها النيل » ومطلعها [٢] :

مِن ايّ عهدٍ في القرى تتدفّق وبأيّ كفٍّ في المدائن تُغدقُ
ومن السماء نزلتَ ام فُجّرتَ من عليا الجِنان جداولاً تترقرقُ

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل وصفاً مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك واديان ومن مشى عليها من انبياء وفاتحين ، وانه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور . ومن وصفه :

أتت الدهور عليك مهدُك مُترعٌ وحياضك الشُرُقُ الشهية دُفّقُ
تُسقي وتُطعم لا إناؤك ضائقٌ بالواردين ولا خوانك يَنفَقُ
والماء تسكبه فيُسبك عسجداً والأرض تُغرقها فيحيا المُغرَقُ

(١) تجدها في روائع شعراء الجيل لمحمد فهمي .

(٢) الشوقيات ٢ : ٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

اصلُ الحضارة في صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك مخلّق

ولِدتْ فكنتَ المهدَ ثم ترعرعت فأظلّها منك الخفيُّ المُشفق

* * *

والنيل نهر عظيم فلا بدع ان يكون موضوعاً لكثير من الشعر والنثر .

ومن الأنهار الشرقية المُوحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصي وبردى واليرموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت .

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ (حرمون) والكرمل وطورسينا ووادي موسى (بيترا) وسواها .

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة الغربيّة [١] » ذكر فيها ان كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربيّة تغنّوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم ايليا ابو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجرّ وبشر فارس والشاعر القروي وفخري ابو السعود وأشار الى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥ [٢] وقد أصاب في ما ذهب اليه واننا نضيف الى ما ذكر الوقفتين التاليتين : « على نهر التامس » في لندن [٣] و « على نهر السين » في باريس [٤] .

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل .

(بيروت) أنيس المقدسي

(١) الرسالة ٧ — ٢٣٣١ .

(٢) منها — ديفون الجميلة — أرض شاكسبير — بحيرة دندرمير — القرية الفاتحة — ثلاجة الجبل الأبيض .

(٣) راجعها في المورد الصافي ٧ — ١١٠ ومجلّة الكلية ٨ — ٣٨ .

(٤) راجعها في الهلال ٢٩ — ٣٦١ ، والمورد ٦ — ٣١٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net